المواجهة العربية ـ الاسرائيلية وديناميات «الدولة» و «الشرعية» في العالم العربي

(ملاحظات أولية)

د. أسامة الغزالي حرب

كان قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العام ١٩٤٨، نقطة تحوّل حاسمة في التاريخ المعاصر للوطن العربي. فمنذ ذلك الوقت لم يعد الوجود العربي هو، فقط، السائد فيه، وانما ظهر جسم غريب في القلب منه، بدعم من القوى الاستعمارية التي كانت تسيطر على الطرفين معاً. وطوال العقود الأربعة التي تلت مولد الكيان الصهيوني تشكلت الملامح السياسية، والاولويات الايديولوجية، والمراحل التاريخية، سواء للوطن العربي كله، أو للوحدات المكونة له، طبقاً لمقتضيات وتطورات المواجهة مع ذلك الكيان الصهيوني، قبل أي شيء آخر. فطبقاً للقرب الجغرافي من الكيان الصهيوني، انقسمت الدول العربية الى دول «مواجهة» (مصر وسوريا والأردن، وبمعنى ما لبنان أيضاً) ودول مساندة. وطبقاً لدرجة التشدد، أو التساهل، ازاء الكيان الصهيوني، صُنِّفت الدول العربية (بالتداخل مع معايير أخرى) الى قومية ورجعية، أو ثورية ومحافظة. وبعد كامب ديفيد انقسمت الى دول للصمود والتصدي (في مواجهة دولة التخاذل والتراجع ـ أي مصر ما بعد معاهدة كامب ديفيد)، فضلاً عن بقية الدول الأخرى التي وقفت، أيضاً، ضد مصر في اطار الجامعة العربية.

أيضاً، فان أهم لحظات التحول في التاريخ المعاصر للوطن العربي، انما ارتبطت بتطورات تلك المواجهة. وعلى الأقل، فان الوطن العربي، قبل ١٩٤٨ أو ١٩٦٧ أو ١٩٧٣، ليس هو الوطن العربي بعد أي منها، وهو ما يصدق ـ بدرجات مختلفة ـ على دول المواجهة المباشرة ذاتها.

وليست مصادفة أن السنوات تلك كانت هي التي شهدت حرباً عربية ـ اسرائيلية معينة. ففي كل من تلك الحالات كانت تصدق مقولة ماركس حول الحرب باعتبار أنها واقعة: «تمتحن الأمة وتصدر حكمها بالموت على الأنظمة الاجتماعية التي فقدت قدرتها على البقاء مثلما تتعرض الموميات للتحلل فور تعرضها للهواء»[١].

ولقد امتحنت الحروب العربية ـ الاسرائيلية، بقسوة بالغة، القدرة الحقيقية للانظمة

شؤون فلسطينية ، العدد ١٦٠ ـ ١٦١، تموز/آب (يوليو/أغسطس) ١٩٨٦